

الله ذلك المجهول

د. جواد بشارة

العلم والفلسفة يستجوبان الإله

كيف ولماذا وأين ومتى... أربع مفردات يستند عليها بنیان العلم والفلسفة والدين والفكر الإنساني برمته. لنركز في هذه المداخلة على مفهوم "الله"، كيف ولدت فكرة "الله؟ ولماذا لا بد من وجود "الله"؟ وأين يتواجد هذا "الله" وأين ظهرت فكرة الله وعلى يد من؟ ومتى ظهر الله الواحد الأحد الخالق الكلي القدرة؟ هل هناك من يمكنه الإجابة على هذه الأسئلة الوجودية الجوهرية؟ كلا.. كل الإجابات نسبية على مر التاريخ. احتكرت الأديان التوحيدية الإبراهيمية، أي اليهودية والمسيحية والإسلام، معرفة حقيقة هذا "الله" وفرضت نفسها ممثلة عنه على الأرض والناطقة باسمه والمنفذة " لإرادته" والمطبقة " لشرائعه" وإخضاع البشرية برمته لسلطة المؤسسات الدينية باسم "الله".

قال الفيلسوف سبينوزا: " في الواقع إن الإيمان بالمعنى التقليدي للكلمة ضروري فقط للعامة، وأما النخبة المتقفة أو الفلسفية فلها طريق آخر يرضيها ويكفيها هو: طريق الغبطة الفلسفية. بمعنى آخر فإن الدين يكفي للعامة، والفلسفة خصت للنخبة، ولا ينبغي الخلط بينهما. فالنخبة المفكرة يكفيها العقل كهادٍ ودليل، وليست بحاجة إلى كتب مقدسة أو وحي خارق للعادة أو معجزات... إنها قادرة عن طريق العقل على التوصل إلى الحقيقة من جهة وإلى اتباع الفضيلة والاستقامة في سلوكها اليومي من جهة أخرى.

فالعقل هو الذي يمكن أن يوصل المرء إلى حقيقة الله الرمزية أو المجازية وليس الله الأديان ، أو يثبت له عقلياً إن الله غير موجود أو فرضية زائدة لا حاجة إليها. وقد ورد في مناظرة مفترضة بين مؤمن وملحد هذا الحوار: - الملحد : في البداية أسألك هل الله وجود أم فكرة ؟

=المؤمن : الله وجود أزلي أبدي خالق السماوات والأرض , أما الزعم بأنه فكرة فهو قول الملحدين.

-الملحد : إذن أنت تعتبر الإله وجود فدعك من قصة الأزلي الأبدي الخالق فسننترق لها لاحقاً , فسؤالي عن كونه وجود وموجود ومن هنا أسألك ما ماهية وكيونة وذات الإله هذا طالما تزعم أنه موجود.

=المؤمن : نحن لا نعرف ماهية وكيونة وذات الإله وليس لنا أن نسأل في هذه الأمور.

-الملحد : فكيف تؤمن بوجود الإله وكيف تقدمه للذين لا يعلمونه وللذين ينفون وجوده.

=المؤمن : لدي حججنا المنطقية عن وجود الإله وأتصور أننا في ساحة المنطق والفلسفة.

-الملحد : مؤكداً أننا سنتطرق لحججك ولكن ألف باء منطق أن تعرف ماهية ما تتكلم عنه , فمثلاً هل الإله مادة أم لا مادة ؟

=المؤمن : الإله وجود غير مادي بالطبع.

-الملحد : من أين عرفت أنه وجود غير مادي وماهو تعريف وماهية اللامادة.

=المؤمن : عرفت أنه غير مادة من فكر المؤمنين الأوائل ومنطقهم, فالإله إذا كان وجود مادي فيمكن إدراكه علاوة على أنه سيكون وحدة وجودية مادية كأبي وحدة وجودية وكجزء من الكون.

-الملحد : إذن معرفتك إستنتاجية وليست وجودية تجريبية, وما الضير من رؤيته وإدراكه, كما أن منطقك هذا دائري فأنت تضع فرضياتك أولاً ومنها تستنتج فلا تملك القدرة على تعريف الإله وماهيته وكيونته, فهل هو مادي الوجود أم غير مادي أم روح, وحتى كلمة الروح لا تستطيع تعريف ماهيتها.

نحن الاسبينوزيون ، لا نؤمن ، ولكننا نبرهن أن:

■ الله هو الطبيعة، الله هو الطبيعة الطابعة أي النظام الشامل للأشياء، والطبيعة هي الطبيعة المطبوعة .

■ إله الأديان بالنسبة لنا إله شخصي، أي أنه مجرد إسقاط بشري، فالمتدينين من العامة يتصورون الله شخصاً مفارقاً لهذا العالم يجلس ويراقبنا في ذهابنا وإيابنا، في نومنا وفي يقظتنا، في كل شيء، انه إله يهتم بالتفاهات .

" ■ إلهنا" كاسبينوزين ليست له أي غاية ، فهو يتصرف بضرورة طبيعته وحدها ، فهو العلة الحرة للأشياء جميعاً ، والضرورة ضمن طبيعته ، فهو لا يتصرف وفق هواه كما هو الحال بالنسبة لإله الأديان .

" ■ إلهنا" ليس له أي انفعالات سلبية فهو لا يشعر بأي انفعالات الفرح والحزن ، وعليه فإنه لا يغضب ولا يكره ولا يحبنا...

■ نحن الاسبينوزين نحب الله ولا نسعى أن يبادلنا نفس الحب، فيقول سبينوزا:

"من كان يحب الله لا يمكنه أن يسعى إلى أن يبادل الله نفس الحب ."

كما أن الهنا لا يمكن أن يكرهه أحد، فيقول سبينوزا :

"لا أحد يمكنه أن يكره الله"

■ نحن الاسبينوزين؛ مقتنعين أن المعجزات والسحر ... مجرد خرافات؛ الجن والملائكة ... مجرد كائنات خرافية؛ أما الدعاء والصلاة فهي ليست سوى طقوس مملة لا تنفع ولا تضر في شيء؛ والجنة والنار غير موجدين ومجرد وعد ووعد لا يصلحان إلا مع العامة فجزاء الفضيلة هنا وجزاء الرذيلة أيضا هنا.

■ نحن الاسبينوزيون، نعتبر الحرية مجرد وهم وجهل بالأسباب، والسبيل الوحيد نحو الحرية هو الوعي بالضرورة والبحث عن الأسباب وفهمها .

هذا ملخص لفلسفة سبينوزا، لكنكم نسيتم أنه وفقاً لفكره فإن الله لا يريد من البشر أي شيء، وكأنه إضافة إلى انعدام الانفعالات والهوى لديه، فهو لا ينتظر شيئاً من البشر، وهذا يقود إلى سؤال مهم: حسب سبينوزا لماذا خلقنا؟ هل هي عشوائيات كمثل وجود الحياة في كوكب وانعدامها (مبدئياً) في تريلوينات الكواكب الأخرى والمجرات؟ والجواب أن هذا الإله – إذا كان موجوداً – لم يخلق شيء ولم يخلقه أحد.

إذن، من هو " الله"، ما هو "الله"؟ مشكلة الإجابة على هذا السؤال هي أن لكلمة "الله" معاني مختلفة للغاية.

بداية تجدر الإشارة إلى أن مفردة " الله" هي التسمية الإسلامية لإله التوراة يهوه والرب المسيحي أب يسوع، والمفترض أن يكون هو نفسه الإله الواحد الأوحى الذي يعبدته أتباع الديانات الإبراهيمية التوحيدية الثلاثة، بيد أن كل دين يقدم صفات مختلفة عن الدين الآخر لهذا الإله القابع في الفضاء ويدير ويتحكم

بالكون برمته. ولقد برز في الإسلام علم الإلهيات والذي يسميه البعض علم الكلام لبحث في صفات الله ويرد على الخصوم والملاحدة والدهريين خاصة بعد اتساع رقعة الاسلام ودخول حضارات أخرى مختلفة تحت سلطة الإسلام ما أدى إلى تعدد صور التجليات الإلهية واختلاف التعاريف ونشوب الجدل والسجال اللاهوت والناسوت ، والمادة والروح، ولقد عرفت الدهرية بنكرانها لوجود الله لأنها ذات نزعة مادية محضة تنكر الاعتقاد بوجود الله وتنكر عملية خلق العالم بقدرة إلهية وإن هناك عناية إلهية تشرف على الكون ولا يعترفون بما جاءت به الأديان التوحيدية الإبراهيمية كالتشريعات الدينية والعقاب والثواب ويوم القيام والجنة والنار وقالوا بقدم الدهر أي إن الزمن أزلي وأبدي لا بداية له ولا نهاية ، ولقد سبقهم الملاحدة الإغريق الذين كانوا ينفون وجود إله واحد وكانوا وثنيين.

ماذا نعني بالله؟ نقول عن طيب خاطر أن "هناك شيء فوقنا"، نوع من "القوة" الغامضة. راسخة وتتمتع بالصرامة ن وإن هذه القوة أو الكينونة، يمكن أن تتدخل في حياتنا. والله هو هذه القوة أو الكينونة الغامضة اللامتناهية القدرة. نجد هذه الطريقة للشعور بالله في روحانية العصر الجديد. أدرك أنه يعبر من نواح كثيرة عما نؤمن به بشكل عفوي. لكن من الواضح إن هذا الإله الذي نؤمن به بشكل عفوي لا علاقة له بإله الكتاب المقدس. إنه ليس إلهًا شخصيًا، ليس لديه شعور ولا إرادة ولا مشروع. لا علاقة له بالثالوث الأقدس المسيحي. ليس لديه إمكانية إقامة الموتى أو حمل وتخصيب العذاري. وليس من الواضح حتى ما إذا كان قاضيًا أم نعمة ورحمة وخلص. في الأساس هناك طريقتان مختلفتان تمامًا في داخلنا لإدراك ذلك والتعبير عنه.

لك أن تدرك الله على نحو شخصي بطريقتين. إحداها عفوية، غامضة، ويتم التعبير عنها بالانطباعات. يثير الله سر القوى الطبيعية، التي نقف إزاءها مبهورين وخائفين إلى جانب غموض عدم استجاباتنا لـ "لماذا؟" وأيضًا اللغز من العنصر الذي يحدد مسار الأشياء. والأخرى مذكورة في التعليم المسيحي الذي تلقاه عدد كبير من أتباع الكنائس المسيحية المختلفة. إذن فالله المسيحي هو الذي يخلصنا بنعمة حبه والذي أرسل لنا ابنه ليخبرنا بذلك وينقذنا من الخطيئة الكبرى بتضحيته كما يردد اللاهوتيون المسيحيون. ما قد يصدم أكثر من واحد هو هذه السذاجة. وفي رأيي، ما يربكنا هو مفهومنا العفوي عن الله، أي الخيار الأول، وهو قريب جدًا من روحانية الأديان القديمة. يبدو لي بالفعل أننا لم نقم بذلك على نحو واع. لو افترضنا تقبلنا للطريقة التي يقدم بها اللاهوت المسيحي الله إلينا، ولا سيما فكرة الإله الشخصي، أي الذي لديه صفات الشخص، الإنسان، وعلى وجه الخصوص القدرة على الإرادة، والحب والتوبيخ والغيرة والغضب... إن حقيقة أن تنسب إلى الله وجودًا شخصيًا ومشروعًا وإرادة وربما حبًا بالإنسان، وغيرها من الصفات البشرية، جاءت متأخرة جدًا، قبل خمسة وعشرين أو ثمانية وعشرين قرنًا فقط. يجب الاعتراف بذلك، هذه الفكرة عن إله فريد و"شخصي" هو أمر مثير للدهشة.

دعونا نضيف هذا. إن نشأة الإيمان بالله، حتى بالنسبة للبشر اليوم، ليس أمرًا فكريًا. إنها ليست قضية نفسية أو سيكولوجية أيضًا ولا إيكولوجية بيئية فحسب، بل ضرورة معنوية للتوازن: الله ليس أولاً وقبل كل شيء هو الحل لحاجتنا إلى أن نكون محبوبين. كما قلنا، فإن جذور الإيمان بالله تكمن في الروحانية*. إنها تنطلق من شكل من المفاجأة والخوف والترهيب أمام القوى التي ترعج العالم الكوني وتحرك البشر وتؤدي إلى أحداث غير متوقعة. إنه ناتج عن شكل من أشكال الدهشة والصدمة أيضًا.

ولهذا السبب، حتى بالنسبة لنا، فإن الطريقة الأكثر عفوية لتعريف الله هي تعريفه كقوة، ليس بالضرورة طاقة أو مادة. بالنسبة لعقيدة ألب "إيمان المركبة"، فإن الله هو القوة التي تتدخل في العالم لتمنح يد العون عند الضرورة.

شخصيات ووجوه الله المختلفة:

لذلك تم تصور الله لأول مرة من خلال النزعة الأرواحية أو الإحيائية animisme، ومن ثم من خلال اليهودية القديمة، كقوة تعمل في الظواهر الطبيعية إلى حد ما في هذا العالم*. الله هو القدير، أي القوة التي تعمل في كل ما يحيا، وتعمل ولها في حد ذاتها شكل من أشكال القوة. وهذه هي القدرة الإلهية التي تم تفكيكها وصياغتها من قبل الميتافيزيقيا (وخاصة اللاهوت السكولائي). لقد تم تصوره على أنه القوة والسبب الأول لكل ما هو موجود وكل ما يحدث في العالم. بطريقة ما، أي إن الميتافيزيقيا تنحدر من الروحانية.

بالنسبة للميتافيزيقيا، الله هو سبب كل الأسباب. إنه السبب الأول لكل ما هو موجود، للعالم المرئي وعالم القوى غير المرئية (التي حلت محل "الأرواح" القديمة). "إنه خالق الكون من العدم. إنه هو الذي يجب أن يكون مصدر كل الكائنات، فهو العقل الذي يمكّننا من التفكير، والنور الذي يمكّننا من الرؤية، والمحبة التي تمكّننا من الحب. كل ما هو موجود يشارك فيه، تمامًا كما الماء جزء من المصدر والنبع، بتعبير أهل الإيمان المسيحي.

وهذا الإله يُعرّف بأنه "ما لا يمكن التفكير فيه بما هو أعظم" (سينيكا، القديس أنسيلم)، مما يعني أن الإنسان لا يمكنه حتى التفكير فيه على هذا النحو. إنه أبعد من كل ما يمكن التفكير فيه. فكل ما تعرفه فهو مخالف لذلك. هذه هي الطريقة التي ننتقل بها من إله الميتافيزيقيا المادي إلى إله التصوف. إن إله التصوف "فوق الكل" (القديس غريغوريوس النزينزي). كما أنه لا يتحدث بدقة عن إله "شخصي". هذا الإله لا يسكن عالما، لا يحكمه، لا يخلقه. لا يمكننا قول أي شيء عنه. بالتأمل أو بالنشوة، وبالالتحاد والحلول، نفتح أنفسنا له دون أن نعرفه أو نتعرف عليه.

هو أيضا وراء الزمن. إنه خلود الزمن. إنه "الشامل" (راجع كارل ياسبرز). هناك نعمة تشمل، مثل قوس قزح ضخم، مجموعة الأوقات والأزمان والأماكن.

التجربة الصوفية هي شكل من أشكال الانفتاح على ما وراء كل شيء. إنه تأمل الصمت الأبدي، في الليل المظلم، في الفراغ اللامتناهي لما وراء العالم هذا. والسر الذي يفقد نفسه بالله. فالله يبعثر نفسه في مخلوقاته كما يقول المتصوفة المسلمون.

ولادة شخصية الله:

لنقم بعودة إلى إله الروحانية، ونرى فيه قوة الله الغيبية. لذلك كان له أصل أول: إله الميتافيزيقيا والتصوف. ولكن كان له أيضا أصل ثاني: إله النواهي والوصايا والتشريعات والشرائع. وهو الذي، على عكس إله الميتافيزيقيا والتصوف، سيصبح إلهًا شخصيًا.

في الواقع، قوة قدرة الله تتجلى، منذ البداية، من خلال المحظورات، والمحرمات: عدم قتل كذا وكذا وحيوان، عدم أكل لحم الخنزير عند اليهود والمسلمين، وعدم شرب الماء من هذا المصدر، وعدم شرب الخمر، وعدم نطق اسم الله عبثًا على سبيل المثال لا الحصر، فهي لا تعد ولا تحصى.. تعتبر هذه

المحظورات اليوم بمثابة خرافات. في الواقع، تعبر تلك الممنوعات والمحرمات عن شكل من أشكال الخوف أمام ما يمسك بالمانا (القوة، الروح). وهكذا، لأنهم حاملون لقوة غامضة، فإن بعض الحيوانات، ومصادر معينة، وبعض الكلمات تصبح من المحرمات. إنها ممنوعة ومقدسة. نفس الشيء الذي يغلف ويتغاضى عن أن تتكشف الهيئة الجسمانية، وبفس الطريقة التي تغلف وتتدلى في كشف الطريقة وللأسباب نفسها، فإن الملك من المحرمات، والأجنبي أيضاً (ومن هنا جاء حكم الضيافة)، والمرأة أيضاً (ومن ثم ارتداء ريشة).

هذا الخوف من المانا MANA وهذه القوة للممنوع موجودة في الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، منذ صفحاته الأولى. من أولى تجليات إله الكتاب المقدس تحريم أكل ثمر شجرة المعرفة. ما هو محظور هو ما هو مقدس، ما يحمل في حد ذاته قوة معينة هي على وجه التحديد قوة الله. في الواقع، التحريم هو حظر الاستيلاء على سلطة الآلهة.

في وقت لاحق، يصبح الحظر أمراً لا مفر منه، منة، وصفة طبية، قانون. لكن هذه الصفات ليست متطلبات أخلاقية. بدلاً من ذلك، يأمر بطقوس وشعائر وتضحيات تستند دائماً إلى نوع من الخوف من قوة الله وعدم القدرة على التنبؤ بها.

لذلك نخاف الله ونتقيه. إنه الغموض الغامض الارتعاش واللفافة **، *** الناموس. لذلك يجب أن نحاول أن نكون على علاقة جيدة معه لأنه قد يكون أحياناً تهديداً، وأحياناً منقذاً. وهكذا نشأت فكرة "العهد" معه. هذه الفكرة هي جوهر العهدين القديم والجديد. لكنها توجد أيضاً في أماكن أخرى وفي أديان أخرى، في روما القديمة على سبيل المثال. اتفق الناس والآلهة معاً على مراقبة السلوك الحازم. قدم الناس تضحيات واتبعوا القوانين. من جانبهم، ضمنت الآلهة خصوبة الحقول والنصر في المعارك ... وبالتالي، اعتبرنا أن الله يمكن أن يغير موقفه اعتماداً على الطريقة التي نتصرف بها. لقد أصبح "شخصاً" يمكننا أن نصلي له. وها قد ولد الله الشخصي.

لذلك فإن فكرة التحالف هذه هي التي قادت إلى أن ينتقلوا من قوة الله الروحانية والميتافيزيقا والتصوف إلى إله شخصي، لديه إرادة وحرية ولديه القدرة على التدخل، بأشكال متنوعة ومختلفة، في سياق التاريخ. إله الكتاب المقدس:

هل كان "الله" حراً في خلق العالم؟ يشرح علماء الأنثروبولوجيا الآخرون ظهور الإله الشخصي (أي، إله لديه إرادة وشكل من أشكال الحرية) بشكل مختلف. بالنسبة لهم، الإيمان بإله شخصي هو نتيجة لظهور النبوة. في الديانة الوثنية، لم يكن هناك أنبياء، ولم يكن هناك سوى كهنة مكلفين بتقديم التضحيات إلى القوى الإلهية. لكن النبي يتحدث باسم الله الذي له مطالب ويمكن أن تتغير مطالبه. يتحدث عن إله شخصي. إله الكتاب المقدس هو إله شخصي، وقد يقول البعض أنه مجسم * كما تقول فرقة المشبهة في الإسلام. لديه إرادة خاصة به، ويختبر مشاعر مثل الغضب أو الحب. لديه خطط وتفضيلات. اختار إله العهد القديم الوقوف إلى جانب شعب إسرائيل الصغير. إن الله الذي يركز به لنا يسوع في الأناجيل لديه ميل خاص للصغار والفقراء والخطاة. إنه إله أخلاقي أكثر من كونه ميتافيزيقياً وعالمياً حقاً. وإله القديس بولس هو أولاً من يحيي ضحية، يسوع المسيح، لأنه بريء.

لا أود أن أنغمس في هذه المعمة الماروائية والتعبير عما أشعر به حقاً. أحياناً تبدو الطريقة التي يقدم بها الكتاب المقدس الله لنا أكثر خرافية ولا يمكن تصديقها، وأكثر لا عقلانية وأكثر إيماناً بالخرافات من

الروحانية. ومع ذلك فأنا أحاول أن أفهم أيضًا إله الكتاب المقدس القديم التوراة وإله يسوع المسيح والإنجيل أو العهد الجديد وإله محمد، هذا الإله الذي هو من أجل الصغار والخطاة. لكن إله الكتاب المقدس هذا ليس مثل إله المصادر والخصوبة والشفاء.

في الواقع، أنا مقتنع بأنه حتى أكثر المسيحيين اقتناعًا غالبًا ما يكون لديهم مفهومان متناقضان ومتناقضان عن الله، أحدهما يتوافق مع صورتهم التلقائية عن الله (صورة الأرواحية أو التصوف) والآخر يعبر عن نفسه في تصنيفات الرسالة الكتابية المنقحة والمصححة من خلال التبشير بالتعليم المسيحي اليوم. ومع ذلك، لا يبدو أن هذا الانقسام يزعجهم.

نحتفظ من الكتاب المقدس بالعبارات التي تقول "العقيدة البطيئة" أفضل مع مفهومنا التلقائي عن الله. هذا هو السبب في أن المزامير عزيزة على قلوبنا بشكل خاص. تصبح أغنياتهم شكلاً من أشكال الموسيقى، والتصوف والشاعرية للتعبير عن تحالف السماء مع الأرض، والخلود مع التاريخ، والنور الذي يأتي من بينهم مع ظلمة جادة الطريق. فهذا الجزء من البشر يشعر بأن الله هو الوعد الذي سيزيل المعاناة عنهم.

من الكتاب المقدس، نتذكر بشكل خاص أن هناك شيء أو شخص فوقنا يشفق على يؤس حياتنا وجبن قلوبنا. وهذا غالبًا ما يكون كافياً بالنسبة لنا. نحن نعيد تفسير ما يقوله لنا الكتاب المقدس لنجعله نوعاً من الاستجابة التي تعكس حدسنا الروحاني أو المؤمن بوحدة الوجود أو بالوجود الروحاني. في الواقع، نحن نعتبر أقوال الكتاب المقدس والوعظ المسيحي أدوات وكلمات وصور ورموز، هي التي تسمح لنا بالتعبير عن عطشنا لله، وفكرتنا عن الله كقوة تتدخل بطريقة خفية في العالم.

إله المدن وإله الحقول والأرياف:

في الواقع، حتى بالنسبة لنا اليوم، فإن الله هو أولاً وقبل كل شيء "إله الحقول". دائماً ما يتعلق الأمر بجمال السماء والنجوم التي تجعلنا نحلم، بالكوارث التي تخيفنا، بالمحاصيل التي تذهلنا وأيضاً بطاولات الدوران التي تبدو ساحرة بعض الشيء بالنسبة لنا. إنه إله وحدة الوجود والروحانية والإحيائية. لكن معظمنا أصبح من سكان المدن: فقدنا الإحساس بالصلوات الاختيارية التي تتعامل مع العالم الطبيعي والخارق. بسبب عبودية القطران أو القير والعمل والوحدة، وصلنا إلى كرب العيب والقلق العيبي ومسألة المعنى. وهذا هو السبب في أن سؤال الخلاص، الذي كان أولاً وقبل كل شيء يتعلق بالشفاء والطعام، أصبح بالنسبة لسكان المدن أملاً في أننا لسنا وحدنا وأننا محبوبون حتى عندما نكون غير سعداء، نعيش المعاناة، نعاني أو مذنبون. لقد أصبح الله وجه النعمة والمغفرة والمحبة والتبرير ومعنى الحياة.

في الواقع هذا التحول في صورة الله بدأت في وقت مبكر جداً. وهي التي تستطيع شرح الانتقال من الروحانية أو الإحيائية إلى الإيمان الأحادي أو التوحيد (حتى لو ظلت الروحانية الإحيائية دائماً أساسية). بدأ هذا التطور بمجرد توقف الناس عن كونهم مزارعين وصيادين ليصبحوا بناء أبراج. يقول كل من الكتاب المقدس وبابل البابلية ومصر ذلك كل بطريقته الخاصة. صار الله رباً يحمي أتباعه ويطلب طاعتهم.

وكان إله المدن موحداً أو توحيدياً لذلك فهو غيور. وقد أمر على الفور رفض الآلهة الميدانية من خلال اعتبارهم أصناماً. لكن آلهة الحقول تبقى حية فينا. نبقى إلى حد ما، دون أن نعترف بذلك لأنفسنا، أنصار الأرواحية أو الإحيائية l'animisme.

القدرة المطلقة لغياب الله:

بعد هذه المحاولة لشرح ميلاد الله اليوم، أعود إلى السؤال الأساسي: ما هو الله في خاتمة الأمر؟

في الواقع، يبدو لي أن اعتبار الله كقوة أسهل من اعتباره وجودًا. فمشكلة معرفة كيفية "وجود" الله معقدة للغاية. من ناحية أخرى، من الممكن تمامًا النظر إلى الله كقوة غامضة تطاردها وتستحوذ عليها. كل البشر، بطريقة أو بأخرى، يكافحون مع "الله" سواء كانوا يعتبرونه موجودًا أم لا.

يمكننا مقارنة العلاقة بين البشر والله مع معركة يعقوب مع الملاك (سفر التكوين 32، 23-32). يبقى هذا الملاك غير معروف أو مجهولاً ليعقوب. لم يكشف عن اسمه. ربما يمكننا القول إنه غير موجود. لكن مهما يكن. فهو يطاردك ويهاجمك.

بنفس الطريقة التي يحارب بها يعقوب ملاكًا لا يعرف اسمه والذي هو مجرد شكل من أشكال الظلام الذي يختفي بمجرد أن يضاء المكان، فإننا نكافح مع "الظل القدير لـ الله" في نوع من القتال اليدوي الذي يتسم بالعاطفة والمواجهة.

أود أن أضيف كلمة شخصية أكثر حول كيف أرى قدرة الله المطلقة. أصررنا على أن هذه القوة المطلقة كانت ذات حضور مهووس وموسوس. لكن هذا الوجود القوي لـ الله، هو أيضًا ناجم عن غيابه.

نحن لا نلعب على الكلمات. الغياب (المختفي أو المتوفى، على سبيل المثال) يمكن أن يحدث في منزل بالنسبة لأقاربه لكنه يمثل، حضورًا شديدًا، وحتى قوة بسبب غيابه ذاته.

وبالمثل، إن غياب الله في هذا العالم هو الذي يعطيه حضورًا تامًا. الغياب بالمعنى الاشتقاقي *étymologique* هو "أن تكون على مسافة". عندما أقول إن الله غائب، أعني أنه يهرب مني دائمًا، وأنه يلاحقني بغيابه، وأني أطارده بالادعاء بوجوده. في الواقع، إنها تجربة أيوب. وعلاوة على ذلك نستنتج، إن لقب العلي القدير يُعطي على وجه الخصوص في سفر أيوب لـ الله تعالى، وأن أيوب ينسبه إلى الله على وجه الخصوص عندما يصارع غيابه ويدعي تدخله الخلاصي.

تعودنا على تقديم الله على أنه من يأتي إلينا ويلتقي بنا ويباركنا. لكن يمكننا أيضًا أن نقول إنه هو الذي يهرب منا عندما نمد أيدينا إليه. ندعو الله مثل المصاب بالربو الذي يدعو ويطالب بالأكسجين. يشعر بأنه قوة لديها القدرة على إنقاذنا. ولأن المريض على وجه التحديد يفتقر إلى الأكسجين، فإنه يعتبر أن للأكسجين فضيلة قوية بالنسبة له. ولأننا نخنق بدون الله، ندعوه هو القدير. لو لم ينقنا الله لما دعونا بـ القدير. لو كان الله حاضرًا في كل مكان لما كنا ندعوه القدير *le Tout-Puissant*.

الله كلي القدرة من خلال النقص الذي يخلقه فينا*. قد تكون قدرة الله المطلقة هي الفراغ الذي يخلق دعوة للهواء. يمتلك الفراغ بالفعل قدرة مطلقة غير عادية. سيكون الله واحد لكنه "الفراغ" الذي يسبب فينا "نداءً" كما لو أننا نفتقد للهواء. دعوة الله هي بمثابة المطالبة ببحر الأنفاس. الكتاب المقدس صحيح في مقارنة الله بالنفس، كما أنه من الصواب مقارنته بالنور. الله هو النفس والنور الذي ينقنا. وهذا هو سر قوته المطلقة. إنه أمر حيوي بالنسبة لنا. هو الحياة بالنسبة لنا كما يقول الثيولوجيون المتدينون.

ولأنه هو بالنسبة لنا الحياة والنور والنفس الذي ينقنا، ندعوه خلاصنا ونعمتنا وقيامتنا. هكذا نصوغ كل الصفات التي نرغب بها لنصف بها الله ولقد منحنا له حقيقة أننا نفتقده وأنه الغائب.

الإيمان، من أجل الاعتراف بالله، يقوم على غياب الله. الله مؤسس بغيابه ذاته. يصبح كلمة، دينونة، حكم، نعمة Grace، خلاص، بغيابه ذاته. ليظل الله بلا شك قوة أكبر من قوة المليك الضعيف roitelet الله كلي الوجود.

* قد يكون أن كلمة "God" تأتي من الكلمة اللاتينية dies التي تعني "day" أو بشكل أكثر تحديداً من الجذر الهندو-أوروبي dei الذي يعني "التألق"

* حتى اليوم، فإن المضيف الإفخارستي "من المحرمات" (لا يمكن استهلاكه إلا في ظل ظروف معينة) ، ونص الكتاب المقدس نفسه "من المحرمات" (ليس لدينا الحق في إعادته سبب).

** سر كل الآخر هو الذي يخيف الإنسان ويجذبه بنوع من الافتتان.

*** يأتي Numineux من numen ، وهو مصطلح يفضله

رودوف أوتو (عالم اللاهوت والفيلسوف الألماني، 1869-1937) في عمله Le Sacré. يشير numen إلى مظهر من مظاهر المقدس ينتج عنه مزيج من الذهول والخوف والافتتان

* نحن نعرف العبارة الشهيرة لفولتير: "نتظاهر بأن الله خلق الإنسان على صورته. أعاده الإنسان له تلك الصورة.

* وهكذا، عندما اختفى الجنرال ديغول لمدة 24 ساعة، في نهاية مايو 1968 (علمنا بعد ذلك أنه ذهب إلى بادن بادن لمقابلة الجنرال ماسو)، منحه غيابه نوعاً من القدرة المطلقة، وأعطى سلطة كبيرة للخطاب الذي ألقاه عند عودته. استعاد قوته من خلال غيابه.

* في مصر القديمة كان ذلك أثناء الجفاف رسس، عندما لم يسقي النيل الأرض، كان ذلك

ودعا وادعى بأنه الله سبحانه وتعالى

* كذلك عندما يقول الملاك عن المسيح القائم: "إنه ليس هنا، إنه يسبقك إلى الجليل"، يكتسب المسيح قوة، وهي قوة قيامته، بحقيقة أن القبر فارغ.

هل الله من اختراع البشر؟

هل هذه فكرة تم إنتاجها من خلال نشاط دماغنا بنفس الطريقة التي نتجت عن نشاط دماغ الآخرين، فكرة العدالة على سبيل المثال، أو فكرة المطلق، أو الحقيقة، أو المساواة...؟ من الواضح أن العدل والمساواة من اختراعات ضميرنا وأن قول ذلك لا يدعو بأي حال من الأحوال إلى التشكيك في المثالية والشرط الذي يشكلانه. على العكس من ذلك، يمكننا أن نعتبر أن شرف الإنسان مقارنة بالحيوانات هو القدرة على ابتكار أفكار ومثل لها سلطة عليه. لماذا لا نقول نفس الشيء عن الله ونعتبره أكثر اختراعات أو ابتكارات البشر ذكاءً وفضيلة، والذي يشهد على الرغبة في فهم العالم، وحب العدالة والتوسل للمطلق؟ الله هو إسقاط لذواتنا.

ومع ذلك، فإن القول بأن الله هو فكرة واختراع تمامًا مثل فكرة الخير والحقيقة والعدالة يصدمننا. لماذا؟! لأنه، سيقال لنا، لا يمكننا أن نعامل الله بالمثل! فهو، على عكس الخير، الحقيقة والعدالة، هو موجود وقائم بذاته ومستقل بمعزل عن البشر. سيقال لنا أن الله كان موجوداً قبل وجود البشر، بل وحتى قبل خلق العالم.

يمكن للمرء أن يجيب على ذلك، في العديد من الأديان، لا يقال أي شيء من هذا القبيل. الآلهة موجودة فقط طالما يتم تكريمهم والاعتراف بهم من قبل البشر. ولكن، على أي حال، لنتفق مبدئياً، أن الأمر مختلف مع شيء اسمه "الله". يبدو أن القول إن الله من اختراع البشر هو أكثر تجديدًا وتدميرًا. لأن فكرة الله أكثر هشاشة، خاصة اليوم، من فكرة العدل، على سبيل المثال.

في الواقع، حتى لو كان الدين ظاهرة قديمة جدًا وعالمية بلا شك، فإن مفهوم أو فكرة "الله" تبدو لنا عشوائية وغير مستقرة، فالله هنا كائن غامض ومشوش ومشكوك فيه لأنه عشوائي كما يبدو لنا وفي الواقع، لا علاقة لإله الشعراء وإله الفلاسفة بإله المسيحيين. آلهة الرومان واليونانيين جوبيتر، فينوس (... ليس لها علاقة بإله شهود يهوه. لا علاقة لإله جورج بوش وبن لادن بإله كيركيغارد أو باسكال.

من المؤكد، إن هذا التنوع الشديد في المفاهيم يطرح مشكلة أو يؤدي إلى نشوء إشكالية. إذا كنا نمثل الله بهذه الطريقة المتنوعة، أليس ذلك ببساطة لأننا، كل على طريقته الخاصة، نخترع إلهنا لأنفسنا؟

هل من الواضح أن الحديث عن الله يكشف دائمًا عن أهم اهتماماتنا، وتطلعاتنا البشرية، وخلق الإنسان، فهل الله المختلق إن هو إلا إسقاط للذات البشرية وبالتالي ابتكار بشري؟ دعونا نضيف أيضًا، مع مرور القرون، الإله الذي تقدمه لأنفسنا يكون الاعتقاد به والإيمان به أصبح أكثر وأكثر تعقيدًا وربما أكثر فأكثر على نحو لا يصدق. يجب أن ندرك أن إله العقيدة المسيحية يبدو مقلدًا للغاية. لدى المرء انطباع بأن تعريفات الله (الله غير محدود، أبدي، صيرورة أخرى تمامًا، فوق كل شيء؛ ومع ذلك فهو خالق العالم، سيد التاريخ، قاضي البشر، المنقذ. محيي الأموات، حامي إسرائيل ...) هي بنى عقائدية وفكرية، مجردة للغاية أو على العكس من ذلك إنسانية أو بشرية للغاية، وعلى أي حال، غالبًا ما تكون متناقضة. أما ما جعلنا نلصق بهذا الله من أقوال وأفعال، فغالبًا ما يكون هذا فوق الإدراك! لذلك، يمكننا أن نسأل على نحو مشروع: هل الله اختراع أو ابتكار بشري؟ لكن دعونا نلاحظ أن فكرة الاختراع أكثر تعقيدًا مما يعتقده المرء. في كثير من الأحيان نميل إلى التفكير من منظور "إما هذا أو ذلك". نحن نفكر على هذا النحو: إما أن يكون الله اختراعًا، وفي هذه الحالة لا وجود له. أو أنه موجود، وفي هذه الحالة ليس اختراعًا. ولكن الأمور ليست بهذه البساطة. في الواقع، كما قد يبدو مفاجئًا، فإن ما "نخترعه" أو نخلقه يمكن أن يكون له وجود وينتج عنه تأثيرات حقيقية تمامًا.

لنأخذ مثالاً، مثال الأحلام. لن يجادل أحد في أن الأحلام هي اختراعات لأذهاننا، ومع ذلك فإن لها شكلًا من أشكال الوجود. يمكننا تسجيل هذا الوجود على الأجهزة التقنية المتصلة بالدماع. بالإضافة إلى ذلك، تنتج الأحلام تأثيرات في الواقع. من لديه حلم جنسي يمكن أن يكون لديه تلوث ليلي حقيقي. ولنكن واضحين، ليس الإيمان بالأحلام هو الذي ينتج التلوث. إنه مضمون الحلم نفسه. هذا ما "اخترعه" الحلم الذي يعمل بشكل فعال في العالم الحقيقي.

يمكننا أن نأخذ مثالاً آخر: مثال الهلوسة. شخص ما يعتقد أنه يسمع رنين الأجراس. سنقول إنه مجرد وهم. ومع ذلك فإن لهذا الوهم حقيقة عصبية. أي شخص يتخيل أن الأجراس تدق في الواقع يسمع رنين الأجراس والأقطاب الكهربائية الموضوععة على دماغه تؤكد ذلك علميًا. وهكذا، فإن الفرق غامض ومن

الصعب للغاية تحديد الفرق بين الذاتية (بمعنى آخر، الوهم، الاختراع) والوجود الموضوعي. بالنسبة لدماغنا، فإن تصور الاختراع مطابق لإدراك كائن حقيقي.

هل نستطيع إثبات وجود الله؟:

لكن دعونا نتعامل مع السؤال وجهاً لوجه. هل "الله، اختلاق أو اختراع؟» ومنذ البداية وحتى نهاية المطاف، دعونا نضع الأمر في علاقته بإله اللاهوت المسيحي الأكثر رسمية، وهو إله القديس توما الأكويني، على سبيل المثال.

الله هو السبب الأول لكل ما هو موجود، أي العالم المرئي والقوى غير المرئية. وعلى هذا النحو يُصوّر أيضاً على أنه خالق الكون. والمهم بشكل خاص لسؤالنا هو أن اللاهوتيين السكولائيين scolastiques أو التعليميين المتمسكين بالتعاليم التقليدية، يعرفون هذا الإله على أنه كائن نشط له وجود خاص به. يقولون إن الله موجود بشكل مستقل عن الإنسان وكان موجوداً قبل ظهور الإنسان وحتى قبل ظهور العالم ويتواجد خارجه. لذلك، يتم تعريفه بوضوح على أنه ليس من اختراع البشر.

هذا هو السبب، فيما يتعلق بهذا التعريف، يأخذ السؤال "هل الله اختراع؟" أهميته الحاسمة. هل يمكن اعتبار حقيقة الاعتراف بالوجود الصحيح المستقل عن الإنسان في الله واعتباره ككائن نشط بحد ذاته اختراعاً؟ هل يمكن تعريف الله بأنه ليس اختراعاً؟ في مواجهة هذا السؤال، أراد اللاهوتيون دائماً إثبات أن الأمر لم يكن كذلك، وقد فعلوا ذلك بمحاولة تقديم دليل على الوجود الموضوعي لله ونشاطه.

لذلك سنرى كيف ادعى اللاهوتيون إثبات وجود الله وإثبات أنه ليس اختراعاً. وحجتهم المنطقية- إنه ليس من السهل دائماً فهم أسبابهم. لنقدم أولاً دليل القديس أنسيلم Anselme (1033-1109). هذا بلا شك هو الأقل إقناعاً. يعرف القديس أنسيلم، في كتابه الدعوى أو التبشير، الله بأنه "لا يمكن التفكير فيه بما هو أعظم". ولإثبات وجود هذا الإله، يستخدم القديس أنسيلم حجة (برهان) تستحق قيمتها. وهو يتألف من القول: إذا لم يكن لله كما عرّفته وجوداً، يمكنني التفكير في شيء أعظم منه ويكون إلهاً له وجود من جانبه. وهكذا، فإن الله كما عرّفته (أي أنه لا يمكن التفكير في شيء أعظم) لن يكون بعد الآن ممكناً بحيث لا أستطيع التفكير في أي شيء أعظم. في الختام، فإن التعريف الذي قدمته عن الله يعني أن له وجوداً خاصاً به.

يمكن للمرء أن يقول مع القديس توما الأكويني أن هذا الدليل يتكون من القول بأن "معنى كلمة الله هو ذاته وجود الله" أو أن الدليل على وجود الله هو في الطريقة التي يتم تعريفه بها. ولهذا السبب اعتبر القديس توما والعديد من الآخرين حجة القديس أنسيلم غير حاسمة.

إن عرض ديكارت (1596-1650) أبسط وأكثر إقناعاً بلا شك. إنه يتبع مساراً أنثروبولوجياً، مما يعني أنه يثبت الله من خصائص الإنسان. أما بالنسبة لإثبات القديس أنسيلم، فإن فكرة اللانهاية هي التي تكمن وراءه 3 • قال ديكارت: "لن أمتلك فكرة الجوهر اللامتناهي، أنا كائن محدود، إذا لم يتم وضعها في داخلي بواسطة مادة لا نهائية حقاً. 4 "أفلاطون، الذي ترجمه غوته، قالها أيضاً وربما أكثر بساطة: "إذا لم تكن العين ذات طبيعة شمسية، لم تستطع رؤية الشمس. إذا كانت قوة الله لا تحيا فينا، فكيف سيسحرنا الله؟

هذا دليل بالآثار. تم إثبات السبب من خلال التأثيرات. يجب أن يكون لكل نتيجة سبب من نفس النظام، ولهذا السبب لا يمكن أن يكون لحقيقة أن الإنسان لديه إحساس باللامتناهي سببه في الإنسان نفسه لأنه محدود. يمكن أن يكون سببها فقط في الله الذي هو اللامتناهي. إذن الله موجود، وهو الذي يعطي الإنسان معنى اللامتناهي وإحساس الله نفسه.

هل يثبت عمل الكون وجود الله؟:

في مجال الدلائل على وجود الله، هناك أطروحة القديس توما الأكويني (1225-1274) الأكثر شهرة.

يدعي القديس توما الأكويني أن بوسعه أنه يثبت وجود الله، وهو يفعل ذلك بخمسة "طرق". هو أيضاً يستخدم طريق إثبات وجود كسبب من آثاره. ولكن على عكس ديكارت، فهو يستخدم البراهين الكونية ويثبت الله من خلال خصائص العالم. دعونا نقبس فقط الأول والخامس من هذه البراهين. هذه هي الأكثر سهولة الوصول إليها وربما الأكثر إقناعاً.

البرهان الأول. يجب أن يكون لكل نتيجة سبب ولكل علة معلول. وهكذا يمكن أن يصبح الخشب البارد ساخناً بفضل حرارة النار. لكن من أين تأتي حرارة النار هذه؟ يجب أن يكون لها سبب في حد ذاتها. وبما أننا لا نستطيع الاستمرار في هذا الانحدار اللامتناهي للأسباب وأسباب الأسباب، فيجب علينا أن نعترف بأن هناك المحرك الرئيسي والأول وهو الله. يعود أصل هذه الحجة إلى أرسطو الذي يستمد من وجود الحركة الحاجة إلى "التطرف الذي هو حركي دون أن يكون متحركاً، ليكون أدياً وجوهراً وفعلاً خالصاً" (الفيزياء، VIII). وسيتبنى ليبينيز، بطريقته الخاصة، هذا الدليل أيضاً.

يمكننا ترجمة هذه الأدلة إلى لغة أكثر علمية وحديثة. عندما يتكشف الكون بمرور الزمن، يمكن للمرء أن يرى شكلاً من أشكال تدهور الطاقة يسمى الانتروبيا. *entropie* وهكذا تبرد النجوم تدريجياً بمرور الوقت. علاوة على ذلك، فإن هذا التدهور هو سبب التطور*. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: من أين تأتي الطاقة التي كانت موجودة في البداية والتي هي، منذ بداية الزمن، تتحلل وتنتج التطور؟ يجب أن يكون هناك سبب رئيسي لاستنباط هذه الكمية الهائلة من الطاقة الأصلية. هذا هو السبب الجذري الذي نسميه "الله".

دعونا نعطي صورة. يمكن مقارنة الكون مع مرجل الحساء الذي يغلي، منذ بداية الزمن، ويبرد تدريجياً. لكن السؤال هو: لماذا كان هذا الحساء ساخناً في الأصل؟ من وضع عود ثقاب تحت المرجل لتسخين الحساء؟ والجواب الذي نقدمه هو "الله". الله هو سبب ومصدر الطاقة الأولية التي تتدهور تدريجياً بمرور الوقت. إنه السبب الأول الذي ينتج أسباباً لا نهائية دون أن يتحلل هو نفسه بانبعاث هذه الأسباب. هو السبب في نفسه دعونا نصل إلى الدليل الخامس للقديس توما الأكويني. يتم تنفيذه ليس وفقاً لفكرة السبب، بل وفقاً لفكرة النهاية أو الغاية *finalité*. الكائنات (وعلى الأخص الكائنات الحية)، تعمل وتتحول، على الرغم من أنها محرومة من المعرفة، بحيث تميل دائماً إلى "الأفضل". وبالنسبة للقديس توما الأكويني، يمكن أن يكون الأمر كذلك فقط لأنهم موجهون من قبل كائن ذكي، مثل سهم رامي السهام. إذا تكيفت النباتات والحيوانات والبشر أيضاً مع ظروفهم الطبيعية وحولوا أنفسهم بطريقة تكيف مع الظروف الجديدة التي يعيشون فيها، فذلك لأن الوكيل والإرادة يوجهان هذه التكيفات وهذه التحولات.

وهكذا يغير لون الحرباء لتندمج مع بيئتها وتحمي نفسها من الحيوانات المفترسة. وبالمثل، عندما تصبح البيئة ملوثة، تتغير خصائص الحيوانات التي تعيش في تلك البيئة حتى تتمكن من مقاومة هذا التلوث. وبالنسبة للقديس توما، يمكن أن تكون يد الله وحدها هي التي تحدث هذا التكيف.

، سيتناول فولتير هذه الحجة بطريقته الخاصة. يكتب عن الطريقة التي يعمل بها العالم قائلاً: "الكون يجرني ولا يسعني إلا التفكير f هذه الساعة hg موجودة وليس بها صانع ساعات 6 •) يعيد روسو أيضاً هذه الحجة في Emile إميل (إعلان إيمان نائب سافويارد): يقول إن انسجام العالم لا يمكن أن يكون نتيجة آلية عمياء من الضروري وضع الذكاء بالاعتبار كمصدر، لـ "إرادة قوية وحكيمة" الذكاء موجود في أصل تلك الآلية.

اليوم، غالباً ما نأخذ هذا الدليل الخامس بالطريقة التالية. نلاحظ أولاً أن توسع الكون سمح بظهور كوكب واحد على الأقل يمكن أن تولد عليه الحياة، وهذا أقل ما يثير الدهشة. ويلاحظ أيضاً أن عملية تطور الحياة قد سمحت بظهور الإنسان ككائن حي يتمتع بالوعي، وهو أمر أكثر إثارة للدهشة. ونستنتج أن مثل هذا التعاقب للمعجزات، (وجود كوكب تكون فيه الحياة ممكنة، وظهور الحياة نفسها، وأخيراً ولادة الإنسان) لا يمكن أن يكون نتيجة مجرد صدفة لأن حدوث وتسلسل كل من هذه الظواهر الثلاث كان في الواقع غير محتمل تماماً. نستنتج أنه إذا حدثت مثل هذه السلسلة غير المحتملة من الظواهر، فذلك لأن يد الله كانت تعمل وإرادته تتدخل. وهكذا فإن ظهور الحياة والإنسان سيثبت وجود الله. سيكون الله هو من يختار "الحركات الفائزة" كما تظهر، وعلاوة على ذلك، يجعلها تزدهر.

هل الدليل على وجود الله مقنع؟

ألا تبدو هذه البراهين على وجود الله مقنعة جداً؟ ومع ذلك، يجب التأكيد على ثلاث نقاط. في براهين الله التي قدمها القديس توما الأكويني، يُقدّم الله كتفسير لما لا يمكن تفسيره على نحو آخر في أعمال العالم. لكن يمكننا القول إن هذا التفسير قد قدم تفسير الله الذي لا يمكن تفسيره. وشرح ما لا يمكن تفسيره بطريقة لا يمكن تفسيرها وهو لا يعد بأي حال من الأحوال تفسيراً.

فيما يتعلق ببراهين القديس توما الأكويني، يقدم كانط 7 ملاحظات مماثلة. يمكننا بالتأكيد، كما يقول، أن نأتي، بعد التفكير المنطقي، إلى فكرة "السبب الأول" و "المسبب الأول" في شرح وجود العالم وعمله، ولكن من غير المشروع استنتاج ذلك بأن هناك كائن من هذا النوع يعتبر هو السبب الأول وفق قديس توما، كما يقول كانط، إن القديس توما يمرر مما "يمكن تفسيره ذلك فقط من قبل الله أي إن الله موجود وإن ذلك دليل "لوجود الله". إنه ينتقل بلا داع من المفهوم الضروري عقلياً لـ "السبب الأول" إلى الادعاء بأنه يثبت وجود الله. لمنح الوجود في ذاته لمفهوم يصل إليه المرء من خلال نهج منطقي وفكري، فهو اختراع. يضيف كانط نقطة أخرى بغية "تفكيك" ودحض براهين القديس توما 8 • يوضح القديس توما ضرورة وجود الله باعتباره السبب الأول باسم منطوق يقول إن "كل تأثير يفترض سبباً يفترض بحد ذاته سبباً، إلخ. «، يمكن لمثل هذا المنطق أن يعرف الله بأنه السبب لكل ما حدث وبحث في العالم. ولكن في هذه الحالة، وباسم نفس المنطق، يجب أن نسأل أيضاً ما الذي تسبب بوجود الله. والقول بأن الله سببه هو حيلة غير منطقية مقارنة بالمنطق الذي أدى إليه. إن حقيقة كونك مجبراً على الوصول إلى هذه اللا منطقية تظهر أن "الله" لا يمكن إثباته وتعريفه حتى النهاية وفقاً لقوانين المنطق. المنطق الذي ندعي باسمه تعريف الله وإثباته ينتهي به الأمر إلى إعلان التنازل في نفس اللحظة التي يحدد فيها الإله الذي يدعي إثباته. سنصل دائماً إلى التساؤل الجدلي من خلق الله إذاً؟

لنعد إلى الدليل الخامس للقديس توما الأكويني وعلى وجه الخصوص إلى ترجمته وما يسمى اليوم بالحجة الأنتروبية*: سيكون ظهور الحياة وظهور الإنسان تعاقب الأحداث غير المحتملة للغاية والتي كان من الممكن أن تحدث فقط لأنها كانت بقيادة يد الله الخفية. سيثبت ظهور الإنسان وجود الله.

يمكننا تحدي هذه الحجة بنفس الطريقة التالية. إذا اعتبرنا أن ظهور الإنسان يشكل معجزة، فذلك لأننا أنفسنا كائنات حية وبشر. هذا لأننا "في صلب النتيجة، بل نحن النتيجة ذاتها الذين نعتبر هذه النتيجة معجزة بعبارة أخرى هذه ليست معجزة في حد ذاتها بالمرّة، أي هي ليست معجزة بأي حال من الأحوال.

دعنا نقدم بعض الأمثلة لشرح ما نعنيه بـ "أن نكون في النتيجة". عندما صرخ المرتل في المزمور (مزمور 91، 7) لمرايا لأنه بينما قتل عدة آلاف من الناس بجانبه، ظل على قيد الحياة، لقد فعل ذلك لأنه بقي على قيد الحياة. الآخرون الذين قُتلوا لا يفعلون! ولأنه في حد ذاته نتيجة فرصة غير محتملة، فهو يعتبرها معجزة. مثال آخر. إذا كان في. من مجموعات البطاقات المرقمة من 1 إلى 9، أقتل 6، 8، 4، 2، أبكي معجزة لأنني ولدت في 6 أغسطس 1942 (6-8-42). النتيجة 6، 8، 4، 2 يبدو لي صدفة غير محتملة للغاية، ولهذا السبب أعتبرها معجزة. لكن جاك الذي ولد في 28 يناير الخامس: أي؛ 1970، بالتأكيد لن. وإذا كنت قد بلغت 5، 9، 8، 4 (أو أيًا كانت المجموعة التي كانت)، فلن يكون الأمر بعيد الاحتمال أكثر أو أقل من 6، 8، 4، 2. في الواقع، يحدث ذلك بالصدفة، خروج أي مجموعة من الأرقام، وإما أنه بعيد الاحتمال للغاية، لكننا نصرخ فقط بحدوث معجزة عندما نكون "في النتيجة". يجب لذلك من الضروري التمييز بوضوح بين مفهوم «بعيد الاحتمال للغاية» و "معجزة". إن فكرة عدم الاحتمالية الشديدة هي فكرة موضوعية وعلمية بينما فكرة المعجزة ليست كذلك. أي شيء بعيد الاحتمال ليس بمعجزة. يجب أن نهتم بالنتيجة حتى نقول إن هناك معجزة.

يمكننا بالتأكيد أن نندهش، من أنه، منذ بداية أول ظهور للحياة على كوكبنا، كان من الممكن أن تؤدي عملية التطور إلى ظهور الإنسان. هذا بالتأكيد غير محتمل للغاية. لكن نفس العملية أدت إلى ظهور البعوض والكراب ووحيد القرن أيضًا، وهذا له طابع بعيد الاحتمال أيضًا. وقد يكون أيضًا قد أدى إلى ظهور نوع كان يمكن أن يكون في نفس الوقت أكثر ذكاءً من الإنسان، وأسرع في الجري منه، وقادرًا على سماع الموجات فوق الصوتية، وربما أيضًا، لماذا لا، أقل قسوة قليلًا وأقل وحشية وحربية أو عدوانية.

بعبارة أخرى، يمكن بالفعل اعتبار ظهور الإنسان بعيد الاحتمال، لكننا نعتبره معجزة فقط لأننا بشر. على مدى آلاف السنين، أنتج التطور مئات الآلاف من الأنواع، والتي كان لكل منها شيئًا فريدًا وغريبًا و "معجزة" (فكر في الطيور المهاجرة التي يمكن أن تجد طريقها إلى الوراثة على مدى آلاف كيلومترات). باعتراف الجميع، كان من غير المحتمل للغاية أن يكون التطور قد أنتج الإنسان. ولكن، إذا كان الأمر كذلك، فهو ينطلق فقط من قوانين الصدفة. فلو لم يظهر الإنسان أو اختفى لما كان هناك ليعتبر ظهوره وجوده معجزة.

لذلك من المشكوك فيه تمامًا أنه يمكن للمرء أن يعتبر ظهور الإنسان دليلًا على وجود الله.

لننتقل إلى نقد ثالث أدلة القديس توما. لا تثبت هذه البراهين شيئًا لأنها تجادل بالإشارة إلى منطق العقل البشري وخاصة بالإشارة إلى فكرة السبب (يعتبر الله سبب وجود الكون والحياة والإنسان). يفترضون مسبقًا أنه يمكن فهم الله وتحديد وإثباته في النهاية، وأنه يمكن القيام بذلك باستخدام منطق أذهاننا الذي

يفسر من حيث الأسباب والآثار. لذلك يفترضون مسبقاً أنه "يمكن معرفة الله على وجه اليقين من خلال ضوء العقل البشري 9". لكن لا شيء أقل يقيناً. إذا كان الله هو الله، فهو مستقل عن منطق أذهاننا. وبالتالي، لا يمكن إثباته من قبل الإنسان ومن خلال منطق استنتاجاته. هذا ما يقوله اللاهوتي البروتستانتي كارل بارث 10 (1886-1968). ويقول إن الادعاء بمعرفة الله، بل والأكثر من ذلك إدعاء إثبات وجوده، هو إثبات وجود إله على صورة ذكاء الإنسان. هو جعله ما يسميه الكتاب المقدس صنماً، أي أن يقول إلهًا على صورة الإنسان وطريقة تفكيره. الآن ليس لدى الله أي شيء مشترك مع الإنسان. ولهذا السبب، بالنسبة لكارل بارث، فإن الله في حد ذاته بعيد عن تناول الإنسان وبراهينه.

يجب أن نؤكد بالفعل على مفارقة غريبة: إذا ادعينا أننا قادرون على إثبات الله، فبعيداً عن إثبات أنه ليس اختراعاً، نجعل منه اختراعاً أو اختلاقاً من قبل ذكائنا ومنطقنا. الإله الذي يمكننا إثباته هو إله وفقاً لمنطقنا. وإذا كان الله موجوداً، فهو بالتأكيد مستقل عن منطقنا ولا يمكن إثباته بمنطقنا. باختصار، إذا ادعينا إثبات أن الله ليس اختراعاً، فمن المؤكد أن هذا الإله التوحيدي الثيولوجي اختراع.

وبالتالي، فإن ما نتساءل عنه هو مبدأ النهج الذي يحاول إثبات وجود الله. إن الله الذي يدعي المرء إثباته يصبح، بحكم الواقع، اختراعاً من خلال حقيقة أن المرء يحاول إثبات ذلك.

من الممكن تعريف الله من خلال فهمنا. من ناحية أخرى، فإن الرغبة في إثبات وجوده بمنطق هذا الفهم ليست كذلك. يمكن أن يتم تعريف الله وفقاً لمنطق أذهاننا. لكن لا يمكن إثبات وجود هذا الإله بأي حال من الأحوال، ولا سيما من خلال إثبات يتبع منطق فهمنا.

بعد قلبي هذا، لا شيء يستثنى أو يمنع أنه قد يكون هناك إله هو السبب الأول لكل ما هو موجود، وهو خالق العالم والذي قاد تطور العالم حتى يظهر الإنسان. وبشكل أعم، لا شيء يستبعد احتمال وجود إله يتوافق مع ما نفكر فيه ونؤمن به حول هذا الموضوع، بيد أنه لا شيء يثبت عكس ذلك. ولكن، وبالمقابل، لا شيء يمكن أن يثبت ذلك إلا في حالة اكتشاف دلائل علمية قاطعة على عدم وجوده. ولا شيء يمكن أن يثبت أنه ليس من اختراع عقول الرجال.

هل إله المعتقدات الدينية مخلوق؟

لقد فكرنا في السؤال حتى الآن "هل الله اختراع أو اختلاق بشري؟" بناء على التعاريف التي أعطيت لـ الله، ولا سيما من الميتافيزيقا ولاهوت القديس توما الأكويني. نود الآن أن نسأل أنفسنا عن نفس السؤال، ولكن هذه المرة عن تمثيلات الله التي لدينا. وسنعمل ذلك باستخدام أسلوب نفسي أكثر.

دعونا نلاحظ أولاً وقبل كل شيء أن إله المؤمنين (وأيضاً اللاهوتيون الذين يصورون هذه المعتقدات) يتخذ أشكالاً مختلفة (يمكننا أيضاً أن نقول تمثيلات) والتي لا تتوافق دائماً مع بعضها البعض. أكثر هذه المعتقدات شيوعاً هي إيمان الله الذي يجعل الكون يعمل (وربما خلقه). ولكن بجانب هذا الإله، هناك أيضاً الإله المعين الذي يُدعى عندما تسوء الأمور. إنه الله المخلص، الله الحامي، و الله المنقذ، وهو إله الرجاء. إنه أقل انتشاراً قليلاً من الأول ولكنه مع ذلك يتلقى العديد من الالتماسات. وأخيراً هناك إله الأخلاق. غالباً ما يتخذ شخصية القاضي الذي يصف ويدين.

هذه الشخصيات الثلاثة لله مختلفة تماماً حتى لو لم يكن المؤمنون دائماً يفهمونها بوضوح. يقول ألبرت شفايتزر Albert Schweitzer ذلك بوضوح: "الإله الذي يكشف عن نفسه في داخلي يختلف عن الذي

أميزه في الكون. يبدو لي في الكون كقوة غامضة وينكشف في داخلي كإرادة أخلاقية. في الكون، هو قوة غير شخصية، في داخلي يكشف عن نفسه كشخصية ... لدي شعور بأنهم في النهاية واحد، لكنني لا أفهم كيف 11 • "

لذلك، يمكننا أن نرى، لدينا تمثيلات عديدة ومتباينة عن الله. مشاعر مختلفة جدا. يمكن اعتبار هذا الأمر مزعجًا. لكنها تمثيلات يمكن أن تضعنا أيضًا على طريق سؤال، بالتأكيد محارب للأيقونات، ولكنه مع ذلك رائع: "ما هي الاحتياجات التي تلبّيها طريقتنا في تمثيل الله؟" "أو بعبارة أكثر صراحة" ما هي الاحتياجات التي تلبّيها طريقتنا في اختراع الله أو على الأقل تمثيلاتنا لله؟ ". نحن هنا نتعامل مع السجل المزعج، وبالتالي الاستخفاف بسلوكية الدين، لعلم نفس الدين. بل لا بد من الاعتراف به إذا كان مؤمنًا ما يتصور الله بعدة طرق (ويؤكد لاهوت الثالوث من خلال تقديم الله وفقًا لثلاثة أرقام مختلفة) ، إذا كانت هناك صور مختلفة عن الله ، فربما يكون ذلك بسبب حقيقة الله ، لأنها ربما في الواقع ، نفسها ، متعددة الأوجه ، لكنها أيضًا ، على الأرجح كذلك ، لأن للإنسان وظائف مختلفة * (يمكن للمرء أن يقول "مرافق" مختلفة). وظائف الله هذه، ومن ثم الطرق التي نفهم بها، تلبّي احتياجات مختلفة، وبالتالي يمكن "اختراعها" من خلال تلك الحاجات.

هل يمكن أن نفسر الله من خلال علم النفس؟

هل الله اختراع لبعض احتياجاتنا النفسية؟ للتفكير في هذا السؤال، سنأخذ كلاً من صور الله الثلاثة التي حددناها: الإله الكوني صانع الساعات العظيم، والملاذ الأعلى لله، والله الواعي الأخلاقي.

إن إدراك الحاجة التي يتم الوفاء بها من خلال الإيمان بالله الكوني أمر بسيط للغاية. إنه يستجيب للحاجة إلى شرح وفهم ما يبدو لنا غير قابل للتفسير وغير مفهوم. الوظيفة الأساسية للإيمان بالله، سواء بالنسبة للإنسان البدائي أو للإنسان اليوم، هي تقديم تفسير للعجب عن كيفية عمل العالم. أن يكون تفسيراً لما لا يمكن تفسيره. لذلك ينبع الإيمان بالله الخالق وصانع الساعات العظيم من حاجتنا لإيجاد تفسيرات.

سوف نتناول مسألة نشأة الإيمان باللجوء إلى الله (فادي الله ومخلصه) من مسار مختلف تمامًا: وهو استكشاف أهم رغبة لدى الإنسان. قد لا تكون هذه الرغبة رغبة في القدرة المطلقة، بل رغبة في علاج شعوره بالعجز. الإنسان في الأساس عاجز وبالأساس هو في حالة نقص. في الواقع، نحن نشعر باستمرار أننا في حالة من عدم التوازن وهذا هو السبب في أننا ندعو إلى المساعدة والرجوع من خارج أنفسنا. وبسبب هذا العمل اللامتناهي من الرغبة والافتقار والإحباط، أصبحنا نعتبر الله الملاذ الأعلى والأسمى. يوضح فرويد أننا نتوق إلى أب يتمتع بالقوة والقدرة، أفضل من أربابنا الحقيقيين، ينجدنا بكل قوة ويمكننا أن يلجأ إليه عندما نشعر بالضعف والرفض. إنه شعورنا بعدم الاستقرار واضطراب أفعالنا التي تنتج الندم، والشعور بهشاشتنا التي تثير فينا اللجوء إلى فعل الصلاة الموجهة للعلي القدير وهذا هو معنى الصلاة في اللاتينية precaria بريكاريا في العصور الوسطى أي الضعف والهشاشة. يصرح الأنا الداخلي للمرء «يجب ألا تفعل هذا أو ذاك». وما يهم لغرضنا هو أن الذات العليا يمكن أن تشعر بها الذات كمثل خارجي عنها. وهكذا يسمع المرضى النفسيين، في هذيانهم، أصواتًا تبدأ بأفعالهم وتدينهم في النهاية. إنه صوت الأنا العليا "يتكلم" ويصدر "الصوت الكبير". ويمكن سماع صوت الضمير هذا مثل صوت الله، حتى عند الأشخاص العاديين. من جانبها، لا تدعي الأنا المثالية المحظورات بل المطالب. يختار من القيم الخلقية والأخلاقية التي يطلبها لي أولئك الذين يمكن أن يشكلوا المثل الأعلى الذي اقتبس فينا الصلاة الموجهة إلى الله تعالى.

نأتي إلى الوظيفة الثالثة لله في الدين: أن يكون صوت الضمير الأخلاقي. وهنا، مما لا شك فيه أن نقطة فرويد هي التي تجعل من الممكن تحديد نشأة ووظيفة هذا الشكل الثالث من الله.

كما نعلم، بالنسبة لفرويد، الجهاز النفسي هو ينقسم إلى ثلاث حالات: الهوية والأنا والأيديا العليا. وبعد ذلك سيميز فرويد الأنا العليا عن الأنا المثالية.

الأنا العليا تعلن المحظورات التي تمنع أفعالنا وتولد تأنيب الضمير وتملي أوامر من قبيل افعل هذا ولا تفعل ذلك أو هذا". والمثل الأعلى للأنا أيضًا، تمامًا مثل الأنا العليا، يمكن فهمه وسماعه على أنه كلمة قادمة من مكان آخر وتحدث إلى الموضوع. وهكذا فإننا نعرض على الله وظيفة الأنا العليا ووظيفة الأنا المثالية. عندئذ يكون لدى الله وظيفة كونه ركيزة الأنا العليا والمثل الأعلى للأنا عندما يتم تلقي هاتين الحالتين وتصحيحهما من قبل الذات على أنها خارجية عنه. لذا، باختصار، الله العظيم هو الساعاتي الكوني تتمثل وظيفته بإعطائنا شرحًا لكيفية عمل العالم، ويجب أن يقدم لنا الله "المنقذ" المساعدة في حالة الخطر، ووعي الله أخلاقيًا فيما يتعلق بتحديد المحظورات والعواطف التي نعطيها لأنفسنا.

أي نوع من الخلاص بالنسبة لـ الله؟:

بعد هذه الملاحظات، قد يكون من المغري أن نستنتج أن الله الذي نؤمن به ليس أكثر من الاسم الذي أطلق على اختراع ناتج عن احتياجاتنا النفسية وعملياتنا العقلية. لذلك قد يبدو من المرغوب به هو التخلص منه نهائيًا. ومع ذلك، ربما يكون هذا الاستنتاج متسرّعًا بعض الشيء. فالنظر إلى الله بكل بساطة على أنه اختراع احتياجاتنا النفسية، بلا شك، مقيد إلى حد ما. يمكن أن يكون لها شريان حياة أو منصة إنقاذ من الله؟ وإذا كان الأمر كذلك، فأين يمكنك أن تجد منصة الخلاص هذه؟ سنفعل أو لا بعض الملاحظات قبل محاولة الاقتراح.

يختبر بعض المؤمنين الله (في شكل إيمان أو إحساس بالغموض أو إحساس بالقدسية). هل يمكن اعتبار اختبار الله شكلاً من أشكال إثبات وجود الله؟ بدهاءة، لماذا لا؟ تجربة، تبدو على الأقل غير ذات صلة بالعديد من الاستدلالات الخادعة أو أكثر.

ولكن ما هو اختبار الله؟ لنكن واضحين، "تجربة" الله ليست بالضرورة اختراعًا لشكل من أشكال الاستجابة للاحتياجات. إنه شكل من أشكال المشاعر والحالة التي تثير فينا مشاعر تتعلق بالله اللامتناهي والآخرة وكذلك السر والالغز الغامض. المواقف التي تثير، بشكل أو بآخر، "تجربة" الله، ليست هي نفسها تلك التي تثير اللجوء وربما اختراعًا لإله يلبي الاحتياجات الثلاثة (الفهم، المساعدة، عمل الواجب) الذي حددناه سابقًا. المواقف التي تستشهد بـ "خبرة" الله هي: إدراك الموت وزوال الحياة، جمال الطبيعة، سماء المحيط الهائج، الوحدة، الموسيقى ... بينما التي تبعث الحاجة إلى الله هي: الكرب، اليأس، الخوف 13 •

ولكن هل اختبار الله دليل على أن الله ليس اختراع؟ للأسف، هذا غير مؤكد. في الواقع، قد تكون خبرة الله، ولا سيما التجربة الصوفية، ناتجة عن وجود مادة السيروتونين serotonin في دماغنا، والتي ستكون قريبة من تلك الموجودة في العقاقير المخدرة (LSD ، على سبيل المثال). من شأن ارتفاع مستوى السيروتونين في الدماغ أن يزيد من درجة التدين. لذلك يمكن أن تثير التجربة الدينية عملية عصبية. وعلى الرغم من أنه لا يمكن للمرء أن يختصر أو يختزل خبرة الله إلى هذا، فإن الحقيقة تظل هي تجربة لا تشكل دليلاً على وجود الله.

دعونا ندلي بملاحظة أخرى: من الصعب أكثر فأكثر إثبات أن الله ليس انعكاساً لأن المرء ينتقل من إله الروحانية إلى السبب الأول إله الميتافيزيقيا ثم إلى إله المعتقدات. إله المتدينين اليوم. في الواقع، يبدو أن الإيمان بأرواح الروحانية يمكن فهمه بسهولة. من ناحية أخرى، فإن الاعتقاد بأن الله هو إله ثالثي، وفي نفس الوقت خالق الكون، ومخلص البشرية ومُلمم الضمير الأخلاقي يبدو أكثر إشكالية. وماذا لو اضطررنا أيضاً إلى تبرير أن لهذا الإله ابناً، وأنه أقامنا من بين الأموات!

في حوالي ثلاثين قرناً، انتقلنا من ديانة طبيعية إلى حد ما إلى معتقدات أكثر إثارة للقلق بشكل لا نهائي وأقل يقيناً. دعنا نقول ذلك بصراحة، سيكون من المرغوب فيه أن نحلم بنهاية لمفهوم أكثر تواضعاً وأقل دوغمائية، ولنقل، بمفهوم أبسط، عن الله.

دعونا نضيف نقطة أخرى. السؤال: هل الله اختراع؟ يطرح اليوم بطريقة جائزة كان لا مفر منها في الماضي؟ ليس من المؤكد أن الأمر كذلك. اليوم، السؤال الذي يهمنا هو بالأحرى "ما المعنى الذي يمكن أن يعطيه الله للحياة؟". ولمحاولة الإجابة عن هذا السؤال، ليس من الضروري بأي حال من الأحوال افتراض أن الله له وجود في ذاته، مستقل عن البشر. اليوم، يبدو لي، أننا مستعدون لقبول رؤية فكرة الله بوضوح كإنتاج لأذهاننا إذا اعتبر هذا "الاختراع" ضرورياً ومفيداً لتفسير الحقيقة. وهو أمر منطقي بالنسبة لنا.

من خلال أخذ هذه الملاحظة الأخيرة في الاعتبار، سنحاول الآن تحديد طريقة لتصور الله تعطيه معنى اليوم والتي يمكن أن تكون ذات مصداقية حتى بالنسبة للملحدin athées واللاأدريين agnostiques.

الله والنعمة المجانية من أجل لا شيء:

لذلك نود أن نسأل السؤال: ما المعنى الذي يمكن أن يكون لكلمة "الله" اليوم؟ ماذا نريد أن نعترف عندما تشير إلى كلمة الله في اعترافنا بالإيمان؟

سنقوم برد شخصي. ما نريد الاعتراف به هو "لا يمكن تفسيره" كشيء - فهو "لا شيء".

عوضاً عن تصور الله كما فعل القديس توما الأكويني، كمبدأ في شرح وجود العالم والحياة (بجعل الله السبب الأول الذي يفسر سبب وجود العالم والحياة)، أريد، على العكس من ذلك، أن أتخيله على أنه المبدأ الأساسي لحقيقة أن العالم والحياة هما بدون تفسير وبدون سبب. إن القول بأن العالم قد أعطانا الله هو الاعتراف بأنه قد أعطي لنا ما لا يمكن تفسيره، أي مجاناً، لذلك يمكننا القول إن العالم موجود بالنعمة، وحتى بنعمة الله. إن القول بأنه موجود هناك بنعمة الله هو طريقة للقول إنه موجود بفضل نعمة التعسفي، الذي لا يمكن تفسيره، وغير المحتمل، وبالصدفة. إنه موجود بشكل من أشكال النعمة المجانية، أي بدون سبب وبدون مبرر وبدون ضرورة. أن نقول أن العالم والحياة هناك "بالنعمة" يعني أنهم موجودون هناك بطريقة سخيفة، بدون سبب ولأجل لا شيء*.

يمكننا أن نفهم لماذا بدوننا لا يوجد مبرر لفكرة الله. ويمكننا أن نضيف: بالنعمة. لا يجب أن يُنظر إلى الله على أنه تفسير لما لا يمكن تفسيره، بل يجب أن يُنظر إليه على أنه مبدأ ما لا يمكن تفسيره، والمكافأة وللأجل.

دعونا نشرح! كل شيء موجود دون أن نعرف السبب. السؤال "لماذا يوجد شيء بدلاً من لا شيء؟" لا يزال السؤال بدون إجابة. العالم موجود، ولا يوجد بدون سبب أو مبرر. إنه موجود هناك دون أن نعرف

السبب. إنه هناك "من أجل لا شيء" و "لأنه لا شيء". إنه موجود من خلال شكل لا يمكن تفسيره، من خلال شكل من أشكال التعسف (يمكن للمرء أن يقول "إنه كذلك لأنه كذلك") وحتى بشكل من أشكال العبث.

يمكننا أن نفهم السبب، دون أن نعرف ما هو التبرير والتفسير لنشوءه من هذا الوضع. "بالنعمة" تعني إذن "لا شيء"، أي "بدون أي تفسير لذلك، بدون أن يكون لها معنى، سبب للوجود *". علاوة على ذلك، بالمعنى الثاني، بالنعمة ولا تعني شيئاً "دون أن يطلب أي شيء في المقابل". هبة العالم والحياة من صنعنا عمل حر ونكران الذات.

وهكذا فإن الاعتراف بالإيمان يتألف من إعادة قراءة معطيات ** العالم والحياة كمعطى * من ناحية، ومن ناحية أخرى الفرصة والمتعذر تفسيره على أنه نعمة وهبة.

لذا فإن اعترافنا بالإيمان هو طريق لقول ما يمكن أن يدركه الإلحاد الأكثر تطرفاً بسهولة. إنها طريقة للقول بأن "هناك العالم" وأن وجود هذا العالم لا يمكن تفسيره، بلا سبب ولا شيء. العالم موجود هناك من خلال شكل سخي لا يمكن تفسيره من المكافآت. هو هناك بالنعمة النقية. التبرير الوحيد له هو أن هناك كون موجود، بالنعمة الخالصة، أي بدون سبب.

وهكذا نجد لاهوت التبرير بفضل نعمة القديس بولس ولوثر. العالم ليس له مبرر في حد ذاته **. تبريره الوحيد هو أنه موجود وأن هذا الوجود قد أُعطي له. وهي تعطي له مقابل لا شيء وبالنعمة. لنأخذ مثلاً: التبرير الوحيد للشجرة التي توجد بلا شيء والتي لا فائدة منها هو حقيقة أنها موجودة وأن الوجود قد أُعطي لها، بدون مقابل، بالنعمة. النقية المحضة **. وبالمثل، فقط والتبرير الوحيد لحقيقة أننا نعيش هو حقيقة أننا نعيش، وأن الحياة تُمنح لنا، وأنها تُعطي لنا مجاناً بلا مقابل وبالنعمة الخالصة.

وهكذا فإن شرعية فكرة الله والنعمة لا تنشأ من إثبات الوجود الأنطولوجي لله، ولا من تجربة، ولا من استجابة قد يعطيها هذا الله لاحتياجات النظام النفسية، ولكن فقط من اعتراف بمعنى اللامعقول ونعمة اللامعقول. إنه يشرح فقط حقيقة أن الحياة تُعطي لنا من أجل لا شيء وبالنعمة. لكن هذا يكفي.

الله والشيطان ومعضلة الشر:

خلق الله ادم واعترض ابليس عليه ثم أغواه ابليس ليأكل من الشجرة المحرمة، فجعل بذلك الخير والشر متصارعين الى يوم يبعثون فما هو السر في هذه المفارقة المقلقة؟

خصوصاً بعد ان تساءل ابليس بما يسمى بالشبهات السبعة وتلك الشبهات مسطوره في شرح الأناجيل الأربعة: إنجيل لوقا ومرقص ويوحنا ومتى ومذكورة في التوراة اليهودي أو العهد القديم متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه .

قال كما نقل عنه: إني سلمت أن البارئ تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشينته وأنه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة

قالت الملائكة: ما هي؟ وكم هي؟

قال إبليس: سبع

الأول منها: أنه – أي الله – إذا كان قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر وسيصدر عني ويحصل مني فلم خلقتي أولاً؟ وما الحكمة في خلقه إياي؟

والثاني: إذ خلقتني على مقتضى إرادته ومشيبته فلم كلفني بمعرفته وطاعته؟ وما الحكمة في هذا التكليف بعد ألا ينتفع بطاعة؟ ولا يتضرر بمعصية؟

والثالث: إذ خلقتني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ألا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي إياه؟

والرابع: إذ خلقتني وكلفني على الإطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد لآدم فلم لعنني وأخرجني من الجنة؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحا إلا قولي: لا أسجد إلا لك؟

والخامس: إذ خلقتني وكلفني مطلقا وخصوصا فلم أطع فلعنني وطرديني فلم طرقتني إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقي خالدا فيها؟

والسادس: إذ خلقتني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقتني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني وتوثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة

والسابع: سلمت هذا كله: خلقتني وكلفني مطلقا ومقيدا وإذا لم أطع لعنني وطرديني وإذا أردت دخول الجنة مكنني وطرقتني وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم إذا استمهلتهم أمهلني فقلت: (أنظرنني إلى يوم يبعثون) (قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم)

وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما بقي شر ما في العالم؟ أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر؟

قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة

قال شارح الإنجيل: فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام قولوا له: إنك في تسليمك الأول أني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت أني إله العالمين ما احتكمت على بلماذا فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون

ويبدو ان الخير والشر الذي اجراه الله على ايدي الناس لسبب يعلمه هو.

ملخص المحاوره إن إبليس وقع بين سندان الإرادة الإلهية ومطرقة المشيئة الإلهية. فإله أراد منه أي يفعل شيئا وشاء له ألا يفعل ذلك الشيء أي الأمر الإلهي بالسجود والنهي الإلهي بعدم الشرك وعدم السجود إلا لله. فخلق إبليس كان ضرورة إلهية .

حاول بعض متصوفة الاسلام ان يجيبوا عن هذا السؤال فقالوا ما معناه ان الشئ لا يمكن معرفته الا من خلال نقيضة فالنور لا يدرك الا بالظلام والصحة لا تعرف الا بالمرض والوجود لا يعرف الا بالعدم والانسان لا يستطيع ان يدرك الله الذي هو الحق الا اذا عورض بالباطل.

ومشكلة الشر تفسر عند المتصوفة على هذا الاساس فالشر في نظرهم ضروري لوجود الخير كما ان النور لا يفهم الا إذا وراءه الظلام.

وقد ذهب ابن خلدون الى ما يقارب الرأي الصوفي في مسألة الشر فهو يقول (قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يفوت الخير بذلك على ما ينطوي عليه الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم.)

والواقع ان هذا الرأي الصوفي - الخلدوني يشبه الى حد بعيد نظرية هيجل المعروفة علما انهم سبقوا هيجل بهذا التفصيل ولقد لخص هيجل هذا المنطق بقوله

(ان كل شئ يحتوي نقضيه في صميم تكوينه وانه لا يمكن ان يوجد الا حيث يوجد نقيضه معه)

إله الإيمان:

أدرك أن هذا التأمل في "هل الله اختراع؟" قد يكون محيراً. ماذا يغدو الإيمان البسيط بهذا؟

بالنسبة لي، لا يأتي الإيمان في نهاية تقييم عقلائي إلى حد ما للأسباب الجيدة والسيئة للاعتقاد. إنه اختيار متحيز لصالح طريقة لرؤية العالم والحياة ووجودي ووجود الآخرين. علاوة على ذلك، هو نفسه في مجال الخيارات السياسية التي غالبًا ما تكون بطابعها عاطفية، قريب جدًا من الخيارات الدينية.

وهكذا، فإن الإيمان هو أولاً وقبل كل شيء معنى يعني القدرة على التحدي المتجسد في الوعظ ببسوع المسيح. هذا التبشير يبشر بطريقة النظر إلى البشر على أنهم خطاة مغفور لهم، والعالم كهديّة والحياة نعمة. من إعلان حقوق الإنسان 1789. أؤمن بما تقوله وقررت أن أعترف بحقيقتها.

أوافق على أن هذه هي طريقة رؤية العالم. وأنا ألتزم بها بدون سبب معقول، بقرار من حيث المبدأ وبداهة. بالنسبة لي، الإيمان ليس عقيدة بل موقف مسبق متحيز حقيقة الاعتراف بالله تأتي من قرار شخصي.

إنه أمر يتعلق بالإرادة أكثر منه شعور. علاوة على ذلك، يقول القديس توما ذلك بنفسه لأنه يعرف فعل الإيمان على النحو التالي: "فعل ذكاء يحدده طرف واحد تحت تأثير الإرادة". أما بالنسبة لباسكال، فقد اعتبر الإيمان رهانًا، أي التزامًا دائمًا، فعل إرادة يختار من خلاله الإنسان طريقًا، طريقه.

للخروج من مأزق عملية الخلق والسبب أو العلة الأولى ومعضلة تعريف ماهية الله وصفاته، والابتعاد عن المعارك والسجلات الكلامية بين الثيولوجيين والعلماء. جاءت نظرية تعدد الأكوان، وافترضها وجود كون كلي مطلق عاقل وحي وفي حالة تطور مستمر إلى مالانهاية، هو مجموع العدد اللانهائي من الأكوان مثل كوننا المرئي، المكونة له، بما فيها نحن وباقي مكونات كوننا المرئي، والذي لا يشكل سوى مجرد جسيم أولي في نسيج الكون الكلي المطلق، على غرار الجسيمات الأولية كالكواريكات والأوتار، في كوننا المرئي. حيث يمكننا اعتبار هذه الكينونة المنطلقة الكلية الحية العاقلة بمثابة الله، وبالتالي، لا وجود لجنة ونار ولا عقاب وثواب ولا يوم قيامة ويوم حساب، وكل الأطروحات والخرافات الدينية والثيولوجية هراء ومختلقة من قبل البشر. وهو كون لا بداية له ولانهاية، فهو موجود منذ الأزل وإلى الأبد، لم يخلقه أحد ولم

يخلق هو أحد، وكل ما هو موجود في الوجود هو جزء منه ومن مكوناته فهو الوجود الوحيد الموجود في وحدة تامة.

* يتحدث القديس توما الأكويني عن "طرق" ولكنه يستخدمها أيضا نفسها كلمة "دليل".

* "الانثروبيا"، من الكون اليوناني، سبب التطور

* "أنثروبي" يأتي من أنثروبوس، إنسان.

* هذه النقطة كافية في حد ذاتها لتفسير الميرا الزائفة الرئيسية في علم التنجيم والعلوم الإلهية الأخرى. نحكم على صحة ما تم توقعه من النتيجة.

* يعتبر اللاهوت الكاثوليكي أن للإنسان إمكانية معرفة الله (وربما إثباته) لأنه يشترك في شيء مع الله: الوجود. لكن كارل بارث يعتبر أنه لا يوجد تشابه بين الإنسان والله.

** ولكن لكي يكون منطقياً مع نفسه، كان على كارل بارث أيضاً أن ينتقد، بنفس الطريقة، حقيقة أننا يمكن أن نعتبر أن الله يحب البشر والعدالة، وأراد التحالف مع إسرائيل..

* قد تكون كلمة "وظيفة" مفاجئة. نتحدث عن "وظيفة" الله (يمكن للمرء أيضاً أن يقول دور الله) قليلاً حيث يمكن للمرء أن يتحدث عن وظيفة الأساطير أو الطقوس أو الرموز.

* أظهر علماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس الدينيون أن الإيمان لا يمكن إلا أن يتشبه بما هو غير منطقي وغير مفهوم وغير قابل للتفسير فقط بما لا يمكن تأكيده وإثباته. ومن خلال أخذ هذا الدرس في الاعتبار، يمكننا تعريف الله على أنه مبدأ ما لا يمكن تفسيره والذي يظل غير قابل للتفسير.

* لا يخبرنا الكتاب المقدس لماذا خلق الله العالم أو لماذا خلق الإنسان. يمكننا القول أن الخلق العالم والإنسان "لمجد الله"،

وهي طريقة ترنيمية لقول "لا شيء".

** وجود العالم ووجود الحياة "عطايا" ولدت"، أي الحقائق التي لا يمكن التشكيك فيها.

* الصفقة تميز عمل إعطاء وتداول البطاقات، وكذلك البطاقات التي تم منحها للاعب. نقول "صفقة جيدة في متناول اليد".

** يمكن للمرء أن يقول أيضاً: العالم في حد ذاته عبثي.

*** كذلك حياتنا ليس لها أي مبرر

حتى في. لا يمكنها الحصول على أي منها. لا يمكننا التبرع

التبرير الوحيد لحقيقة أننا نعيش هو حقيقة أننا نعيش، وأن الحياة تُمنح لنا، وأنها تُعطى لنا بلا مقابل وبالنعمة.

وهكذا فإن شرعية فكرة الله والنعمة لا تنشأ من إثبات الوجود الأنطولوجي لله، ولا من تجربة، ولا من استجابة قد يعطيها هذا الله لاحتياجات النظام. نفسية، ولكن فقط من اعتراف بمعنى اللامعقول ونعمة اللامعقول. إنه يشرح فقط حقيقة أن الحياة تُعطى لنا من أجل لا شيء وبالنعمة. لكن هذا يكفي.

* الصفقة تميز عمل إعطاء وتداول البطاقات، وكذلك البطاقات التي تم منحها للاعب. نقول "صفقة جيدة في متناول اليد".

** يمكن للمرء أن يقول أيضاً: العالم في حد ذاته عبثي.

*** كذلك حياتنا ليس لها أي مبرر

حتى في حالة لا يمكنها الحصول على أي منها. لا يمكننا التبرع

بأنفسنا (من خلال أعمالنا أو أفعالنا أو من خلال التجارب التي يمكننا الحصول عليها) معنى لوجودنا. ولا يتعين علينا محاولة القيام بذلك. نحن علينا أن نعمل في هذا العالم "من أجل محبة الله"، وهي طريقة لقول "بدون مقابل" مجاناً.